القول المبين في بيان قوله تعالي:

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ . . ﴾[الأحقاف:١٥]

(المعاني واللطائف والهدايات)

إعداد

الدكتور: تركي بن سعد بن فهيد الهويمل

الأستاذ المشارك في قسم القرآن وعلومه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا
وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ
ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ
وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾
[سورة الأحقاف: ١٥].

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

فإن الله – عز وجل – أنزل كتابه الكريم، فاشتمل على كل علم نافع، وجعله هدى ورحمة وبشرى للمسلمين، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [سورة النحل: ٨٩]، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتدبر في كتابه الكريم في غير ما آية من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [سورة النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[سورة محمد: ٢٤].

وقد تدبرت آية من كتاب الله – عز وجل – فألفيتها جامعة من العلوم النافعة التي يحتاج إليها المسلم في دنياه وآخرته، من الوصية بالوالدين حُسْناً وإحساناً، وعدم الغفلة عن حقوقهما مع مرور الأيام والسنين، والتذكير من رب العالمين بذلك عند بلوغ الأشد وبلوغ الأربعين، فَثَمَّ مظنَّة الغفلة والاشتغال بالأموال والبنين، وفيها تذكير بحق الله – عز وجل – وشكر نعمته على الوالد والولد، والدعاء بالعمل الصالح الذي يرضاه مع الرغبة في صلاح الذرية والتوبة لرب العالمين.

وبعد هذا الوصف العظيم في شأن هذه الآية الكريمة، عقدت العزم – بمشيئة الله – على تدبر كلماتها وألفاظها وبيان معانيها، والنظر في لطائفها، واستنباط هداياتها وفوائدها، واستعنت بالله – عز وجل – في تحرير هذه الفوائد ونظمها في هذا البحث، رغبة في الفضل وطمعاً في التدبر والأجر، وخدمة لكتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أسأل الله التوفيق والسداد، والهدى والرشاد،
وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم،
وفي موازين الحسنات يوم نلقاه إنه جواد كريم،
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث.

الفصل الأول: نظرة عامة بين يدي الآية الكريمة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها.

المبحث الثاني: مناسبة الآية الكريمة لما بعدها.

المبحث الثالث: الروايات الواردة في سبب نزول الآية الكريمة.

الفصل الثاني: أقوال المفسرين في المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾، والترجيح بينها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأقوال الواردة في المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾.

المبحث الثاني: الترجيح بين أقوال المفسرين.

الفصل الثالث: اللطائف والهدايات القرآنية في الآية الكريمة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اللطائف القرآنية في الآية الكريمة.

المبحث الثاني: الهدايات القرآنية في الآية الكريمة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث.

الفهارس العامة للبحث.

الفصل الأول:
نظرة عامة بين يدي الآية الكريمة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها.

المبحث الثاني: مناسبة الآية الكريمة لما بعدها.

المبحث الثالث: الروايات الواردة في سبب نزول الآية الكريمة.

المبحث الأول: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها

ذكر الله تعالى في الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة التوحيد له سبحانه وتعالى، وإخلاص العبادة له، مع الاستقامة إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٣]، وبيَّن مآلهم وجزاءهم في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٤]، فلما تقرر ذلك عطف عليه بالوصية بالوالدين والإحسان إليهما، وقد تكرر الجمع بين عبادة الله وشكره تعالى والوصية بالوالدين في كثير من الآيات القرآنية.

يقول ابن كثير[1] (ت: ٧٧٤هـ) في تفسيره عند هذه الآية الكريمة ما نصه:

«لما ذكر تعالى في الآية الأولى التوحيد له وإخلاص العبادة إليه عطف بالوصية بالوالدين، كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن، كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان: ١٤]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وقال هاهنا: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا﴾ أي: أمرناه بالإحسان إليهما

(١) هو أبو الفداء إسماعيل بن كثير بن ضوء، الحافظ عماد الدين، كان من العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، حفظ المتون، وبرع في معرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ، له مصنفات كثيرة، توفي سنة (٧٧٤هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداوودي ١/ ١١٠، وشذرات الذهب ٨/ ٣٧.

والحنو عليهما»[١].

ومن الآيات – أيضاً – في هذا الباب: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

والآيات في هذا الشأن معلومة ومعروفة جمع الله تعالى فيها بين حقه وحق الوالدين.

ومما يلتمس – أيضاً – في المناسبة بين هذه الآية الكريمة وما قبلها، ما ذكره ابن عاشور[٢] (ت: ١٣٩٣هـ) في تفسيره بقوله:

«تطلَّب بعض المفسرين وجه مناسبة وقوع هذه الآية عقب التي قبلها، وذكر القرطبي[٣] (ت: ٦٧١هـ) أن وجه اتصال الكلام بعضه ببعض أن المقصود بيان أنه لا يبعد أن يستجيب بعض الناس للنبي ﷺ، ويكفر به بعضهم، كما اختلف حال الناس مع الوالدين[٤].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١٣/ ١٣.

(٢) هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ولد بالمرسى من ضواحي تونس، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، من العلماء المصنفين، من مؤلفاته: مقاصد الشريعة الإسلامية، والتحرير والتنوير، وغيرها. توفي سنة (١٣٩٣هـ)، ينظر: الأعلام ٦/ ١٧٤، معجم المؤلفين ٣/ ٣٦٣، التفسير ورجاله (ص٢٢٨).

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي فرج المالكي القرطبي، مصنف التفسير المشهور، إمام متفنن متبحر في العلم، توفي سنة (٦٧١هـ). ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (ص٧٩)، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٦٥.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٩٤، وعزاه للقشيري.

وقال – أيضاً –: لما ذكر الله التوحيد والاستقامة عطف الوصية بالوالدين كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن»[(١)].

قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): «وكلا هذين القولين غير مقنع في وجه الاتصال. ووجه الاتصال عندي أن هذا انتقال إلى قول آخر من أقوال المشركين وهو كلامهم في إنكار البعث وجدالهم فيه فإن ذلك من أصول كفرهم بمحل القصد من هذه الآيات قوله: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ إلى قوله: ﴿خَٰسِرِينَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٧، ١٨]، وصيغ هذا في أسلوب قصة جدال...؛ لأن لذلك الأسلوب وقعاً في أنفس السامعين...؛ ولذلك تعيَّن أن يكون ما قبله توطئة وتمهيداً لذكر هذا الجدال...» [(٢)].

والذي يظهر أنه لا مانع من القول بهذه المناسبة المذكورة والأخذ بها؛ ولكن المناسبة الأولى التي ذكرها الحافظ ابن كثير أنسب، والآية في احتمالها أقرب، والعلم عند الله تعالى[(٣)].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٨، وعزاه لابن عساكر، وهي المناسبة الذي ذكرها الحافظ ابن كثير في تفسيره.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٨، بتصرف يسير. وينظر للزيادة: البحر المحيط لأبي حيان ٨/ ٥٩.

(٣) وينظر للزيادة: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/ ١٢٦.

المبحث الثاني: مناسبة الآية الكريمة لما بعدها

بعد ذكر الإحسان إلى الوالدين والوصية بهما في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا ﴾ [سورة الأحقاف: ١٥]، وما ذكر لهم من الجزاء وحسن العاقبة في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [سورة الأحقاف: ١٦]، عطف بحال المسيئين إلى الوالدين في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ ﴾ الآية [سورة الأحقاف: ١٧]، وذكر مآلهم وأثبت خسارتهم بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [سورة الأحقاف: ١٨].

وفي نظم الدرر عند هذه الآية الكريم ما نصه:

«ولما ذكر سبحانه هذا المحسن بادئاً به لكون المقام للإحسان، أتبعه المسيء المناسب لمقصود السورة المذكور صريحاً في مطلعها فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ [سورة الأحقاف: ١٧]، مع اجتماعهما كافراً لنعمهما نابذاً لوصيتنا بهما فكان كافراً بنعمة أعظم منعم محسوس بعد الكفر بنعمة أعظم منعم مطلقاً، والتثنية مشيرة إلى أنه أغلظ الناس كبداً؛ لأن العادة جرت بقبول الإنسان كلام أصله ولو كان واحداً، وأن الاجتماع مطلقاً له تأثير فكيف إذا كان والداً...» [(١)].

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/ ١٢٩، ١٣٠، وينظر للزيادة: =

ويقول ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في تفسيره حول مناسبة الآية الكريمة لما بعدها: «لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارِّين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة، عقَّب بحال الأشقياء العاقِّين للوالدين فقال: ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ ﴾ [سورة الأحقاف: ١٧]، وهذا عام في كل من قال هذا...»[(١)].

ويقول الشوكاني[(٢)] – أيضاً – (ت: ١٢٥٠هـ) في مناسبة هذه الآية الكريمة: «لما ذكر سبحانه من شكر نعمة الله سبحانه عليه وعلى والديه، ذكر من قال لهما قولاً يدل على التضجر منهما عند دعوتهما له إلى الإيمان فقال: ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ ﴾ [سورة الأحقاف: ١٧]» [(٣)].

= مفاتيح الغيب (التفسير الكبير للرازي) ٢٨/ ١٣.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١٣/ ١٨، وينظر للزيادة: التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٦.

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد الشوكاني، القاضي بصنعاء، له مصنفات كثيرة في التفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة، توفي سنة (١٢٥٠هـ). ينظر: هدية العارفين ٢/ ٣٦٥، والبدر الطالع (ص٧٣٢)، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢١٩، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٩٨.

(٣) ينظر: فتح القدير ٥/ ٢٦.

المبحث الثالث: الروايات الواردة في سبب نزول الآية الكريمة

اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾ الآية [سورة الأحقاف: ١٥] على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة، ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة، فنزلوا منزلاً فيه سدرة، فقعد رسول الله ﷺ في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب يسأله عن الدِّين، فقال له: من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال: ذاك محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، قال: هذا والله نبي، وما استظل تحتها أحد بعد عيسى إلا محمد نبي الله، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، فكان لا يفارق رسول الله ﷺ في أسفاره وحضره، فلما نبئ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، وأبو بكر ابن ثمان وثلاثين سنة صدَّق رسول الله ﷺ، فلما بلغ أربعين سنة قال: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ. رواه عطاء (ت:١١٤هـ)، عن ابن عباس (ت:٦٨هـ) – رضي الله عنهما – وبه قال الأكثرون؛ قالوا: فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة دعا الله – عز وجل – بما ذكره في هذه الآية الكريمة، فأجاب الله، فأسلم والداه وأولاده ذكورهم وإناثهم، ولم يجتمع ذلك لغيره من الصحابة[1].

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٢١/ ١٤١، حيث قال: «وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق =

الثاني: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – وهذا مذهب الضحاك (ت: ١٠٥هـ)، والسدي (ت: ١٢٨هـ) (١).

= –رضي الله عنه–». وذكره الواحدي بتمامه في أسباب النزول (ص٣٨٠) من رواية عطاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – بدون سند. وقال السيوطي في الدر المنثور ١٣/ ٣٢٢، وأخرج ابن عساكر، من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت في أبي بكر الصديق: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾. إلى قوله: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾.

وفي موسوعة الاستيعاب في بيان الأسباب: «موضوع، وذكره السيوطي في الدر المنثور، وقال: أخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. قلنا: ومن دون ابن عباس–رضي الله عنهما – كذابون». ينظر: الموسوعة ٣/ ٢١٢.

(١) قال البغوي: «قال السدي والضحاك: نزلت في سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه –». ينظر: معالم التنزيل ٧/ ٢٥٧، وقال أيضاً: «نزلت هذه الآية يعني آية العنكبوت، رقم (٨) – والتي في سورة لقمان رقم (١٤)، والأحقاف رقم (١٥)، في سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – مع أمه، وقصتها معلومة ومشهورة حيث رغبت في رجوع ابنها عن الإسلام، وكان باراً بأمه فلم يجبها... إلخ. وذكر القصة الواحدي بسنده في أسباب النزول (ص٣٤١)، والثعلبي، والواقدي هكذا بغير سند. وأوردها السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٥٠، وابن كثير في تفسيره ١٣/ ١٣، وأصل القصة في صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٧/ ١٧٤٨ مناقب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – عن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال: نزلت فيَّ أربع آيات: وذكر منها: وقالت أمي: أليس تزعم أن الله يأمرك بصلة الرحم، وبر الوالدين، فوالله لا آكل طعاماً ولا =

الثالث: أنها نزلت على العموم، قاله الحسن (ت: ١١٠هـ) (١).

= أشرب شراباً حتى تكفر... فنزلت هذه الآية؛ ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾ [سورة العنكبوت: ٨]، وأخرجها – أيضاً – الترمذي، والطيالسي- في مسنده وغيرهم... إلخ.

وجاء في موسوعة أسباب النزول: «قلنا وبما أن الحديث في مسلم؛ فمن عادتنا عدم التوسع في التخريج؛ إلا أن الأمر هنا مختلف، فبعض الرواة جعل سبب نزول الآية التي في سورة لقمان رقم (١٤)، كما عند الترمذي. وقال: «حسن صحيح».. والبزار وغيرهما.

وكلتا الروايتين صحيحتين، ويحتمل أن كلاهما نزلت فيه، أو أن بعض الرواة وَهِمَ في ذكر الآية بأكملها، أو قال أولها – يعني اختصرها –، خاصة أن كلتا الآيتان فيهما تشابه بالكلمات – والله أعلم». ينظر: الموسوعة ٣/ ٤٣، ٤٤، وينظر للزيادة: الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي (ص١١٣). قلت: ولعل آية الأحقاف رقم (١٥) مع آية العنكبوت ولقمان المذكورة. فقد قال ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٥٧ ما نصه: «وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية – يعني العنكبوت رقم (٨)، والتي في لقمان، رقم (١٤)، وفي الأحقاف رقم (١٥) نزلت في قصة سعد»، وقد نص عليه البغوي، وسيأتي بيان ذلك – أيضاً كما تقدم – ٧/ ٢٣٣ إن شاءالله في القول الراجح في سبب نزول هذه الآية الكريمة، والعلم عند الله.

(١) ينظر للزيادة في أقوال المفسرين: جامع البيان للطبري ٢١/ ١٣٦، والكشف والبيان للثعلبي ٩/ ١٢، والنكت والعيون للماوردي ٥/ ٢٧٦، والبسيط للواحدي ٢٠/ ١٧٧، والكشاف للزمخشري ٤/ ٣٠٢، والتفسير الكبير للرازي ٢٨/ ١٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ١٩٦، وتفسير القرآن العظيم =

قال ابن عطية[١] (ت: ٥٤٦) في تفسيره عند هذه الآية الكريمة:

«وقال الطبري (ت: ٣١٠هـ): وذكر أن هذه الآية من أولها نزلت في شأن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –، ثم هي تتناول من بعده، وكان – رضي الله عنه – قد أسلم أبواه، فلذلك قال: ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾، وفي هذا القول اعتراض بأن هذه الآية نزلت بمكة لا خلاف في ذلك، وأبو قحافة أسلم عام الفتح فإنما يتجه هذا التأويل على أن أبا بكر – رضي الله عنه – كان يطمع بإيمان أبويه ويرى مخايل ذلك فيهما، فكانت هذه نعمة عليهما أن ليسا ممن عسا في الكفر ولج وحتم عليه ثم ظهر إيمانهما بعد، والقول بأنها عامة في نوع الإنسان لم يقصد بها أبو بكر ولا غيره أصح، وباقي الآية بيَّن إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾»[٢].

وقال ابن جزي[٣] (ت: ٧٤١هـ): «قيل: إن الآية نزلت في أبي بكر

= لابن كثير ١٣/ ١٣، والدر المنثور للسيوطي ١٣/ ٣٢٢، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/ ٨٢، وفتح القدير للشوكاني ٥/ ٢١، وروح المعاني للألوسي ٢٦/ ١٦، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦/ ٢٨، ٢٩.

(١) هو أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، ولي قضاء المرية، وكان فقيهاً عالماً بالتفسير والحديث والنحو، من أشهر مصنفاته: المحرر الوجيز، توفي سنة (٥٤٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (ص٥٠)، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٢٦٥.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٩٨.

(٣) هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي المالكي المعروف بابن =

الصديق – رضي الله عنه –. وقيل: إنها عامة»[(١)].

الترجيح:

الذي يظهر من خلال ما تقدم ذكره في أقوال المفسرين أن الآية الكريمة نزلت على العموم، ولا مانع من الحمل على العموم، كما تقرر في قواعد الترجيح، والآية الكريمة تحتمله، وقال به بعض المفسرين وذكروا أدلتهم – كما تقدم – عند ابن عطية (ت: ٥٤٦هـ) وغيره من المفسرين.

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) عند قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٦].

«وهذه الآية تدل على أن الآية التي قبلها ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٥] إلى آخرها مرسلة نزلت على العموم. وهو قول الحسن»[(٢)].

وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) في تفسيره:

«والمراد بالإنسان الجنس، أي وصينا الناس وهو مراد به خصوص

= جزي، له مشاركة في فنون كثيرة، وعلوم مختلفة، توفي سنة (٧٤١هـ). ينظر: الدرر الكامنة ٣/ ٤٤٦، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٨٥.

(١) ينظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ٤٣، وينظر للزيادة: بحر العلوم للسمرقندي ٣/ ٢٧٣، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٩٩، والبحر المحيط لأبي حيان ٨/ ٦١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٩٩.

الناس الذين جاءتهم الرسل بوصايا الله والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذلك هو المناسب لقوله في آخرها: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ الآية...» [(١)].

وقال – أيضاً –: «وكونه إشارة جمع ومخبرة عنه بألفاظ الجمع ظاهر في أن المراد بالإنسان من قوله: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ غير معيَّن بل المراد الجنس المستعمل في الاستغراق كما قدمناه»[(٢)].

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٩، وينظر للزيادة – أيضاً –: أضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٤١٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٤، ٣٥، وينظر للزيادة: كتاب التسهيل لابن جزي ٤/ ٣٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣/ ١٦ – ٢٠.

الفصل الثاني:

أقوال المفسرين في المراد بقوله:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، والترجيح بينها،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأقوال الواردة في المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾.

المبحث الثاني: الترجيح بين أقوال المفسرين.

المبحث الأول: الأقوال الواردة في المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾.

اختلفت أقوال المفسرين في المراد بالأشد الوارد في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ الآية، [سورة الأحقاف: ١٥]، على عدة أقوال، ومن ثَمَّ تعددت الأقوال في تحديد سن بلوغ الأشد على عدة آراء ذكروها في كتب التفسير عند هذه الآية الكريمة، ويحسن قبل البدء في هذا البيان أن نذكر معنى الأشد في أصل اللغة، وبيان أقوال علماء اللغة العربية في المقصود، والله المستعان.

قال الجوهري[1] (ت: ٣٩٣هـ) في الصحاح:

«وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾، أي: قوته، وهي ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين، وهو واحد جاء على بناء الجمع، مثل: آنُك وهو الأُسْرُبُّ، ولا نظير لهما. ويقال: هو جمع لا واحد له من لفظه، مثل: آسالٍ وأبابيل، وعبابيد، ومذاكير. وكان سيبويه[2] (ت: ١٨٠هـ) يقول: واحده شِدَّةٌ. وهو حسن؛

(١) هو إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، إمام في النحو واللغة والصرف، أخذ عن أبي علي الفارسي والسيرافي. من مؤلفاته: الصحاح، وله كتاب في العروض، توفي سنة (٣٩٨هـ) وقيل غير ذلك. ينظر: إنباه الرواة ١/ ٢٢٩، وبغية الوعاة ١/ ٤٦٦.

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، إمام النحويين، تلميذ الخليل، شيخ الأخفش الأوسط، له الكتاب. توفي سنة (١٨٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٣، وإنباه الرواة ٢/ ٣٤٦.

لأنه يقال بلغ الغلام شِدَّته. ولكن لا تجمع فِعْلَةٌ على أَفْعُلٍ.

وأما أَنْعُمٌ فإنما هو جمع نُعْم، من قولهم: يوم بؤسٍ ويوم نُعْمٍ. ويقال هو جمع الجمع. تقول: نِعْمَةٌ ونِعَمٌ.

وأما قول من قال واحده شَدٌّ، مثل: كَلْبٍ وأكْلُبٍ؛ أو شِدٌّ، مثل: ذِئْبٍ وَأذْؤُبٍ، فإنما هو قياس، كما يقولون في واحد الأبابيل إبَّوْلٌ، قياساً على عِجَّول، وليس هو شيء سُمِع من العرب»[1].

ويقول الشنقيطي[2] (ت: ١٣٩٣هـ) في العذب النمير:

«وكلام أهل اللغة في الأُشُدِّ معروف، قال بعضهم: الأَشُد واحد لا مفرد له من لفظه، وإتيان المفرد على وزن (أفْعُلُ) نادر جداً، ومنه قولهم: (آنُك) و(الآنُك) هو الرصاص. وهو مفرد على وزن (أفْعلُ)، وقال سيبويه (ت: ١٨٠هـ): الأُشُد جمع (شِدَّة) كنعمة وأَنْعُم، وشِدَّة وأشْدُد، أصله: (أَشْدُد)، وعلماء العربية يقولون: إن قول الشيخ سيبويه (ت: ١٨٠هـ) من قبيل اللغة معروف؛ لأن العرب يقولون: بلغ الغلام شِدته. إذا قوي واشتد،

(١) ينظر: الصحاح ٢/ ٤٩٣ (شدد)، وينظر للزيادة: المفردات للأصفهاني (ص٤٤٧)، ولسان العرب لابن منظور ٣/ ٢٣٥، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ص٢٩١).

(٢) هو محمد بن الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، عالم بالتفسير واللغة والفقه، انتقل إلى المملكة العربية السعودية وعمل في التعليم، من مؤلفاته: أضواء البيان، ودفع إيهام الاضطراب، وغيرها. توفي سنة (١٣٩٣هـ). ينظر: مقدمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم (ص١٩)، والأعلام للزركلي ٦/ ٤٥.

إلا أن جمع (فِعْلة) على وزن (أفْعُل) لم يعرف في كلام العرب. أما قول سيبويه (ت: ١٨٠هـ): «إن النعمة تجمع على أنْعُم» فقد قالوا: ليس ذلك كذلك، وإنما الأنْعُم جمع نُعْم، كما تقول العرب: نُعْمٌ وأنْعُم، وبُؤْس وأَبْؤُس. و(الفُعل) قد يجمع على (أفْعُل). وقال بعض العلماء: الأشَدُّ جمع (شَدّ) – بالفتح – ككلب وأكْلُب، وشَدّ وأشْدُد.

والأشدّ: أصله (أشْدُد) حصل فيه الإدغام. وقال بعضهم: مفرده (شِدّ) بالكسر، كذِئب وأَذْؤُب.

وهذه أقوال العلماء فيه. والمعنى صائر إلى شيء واحد»[(١)].

ويقول القرطبي (ت: ٦٧١هـ) في تفسيره[(٢)]:

«والأشُدُّ واحد لا جمع له؛ بمنزلة الآنُك؛ وهو الرصاص. وقيل: واحده: شدٌّ؛ كفَلْس وأفْلُس. وأصله من شد النهار، أي: ارتفع؛ يقال: أتيته شَدَّ النهار ومَدَّ النهار. وكان محمد بن محمد الضَّبيُّ ينشدُ بيت عنترة[(٣)]:

عَهْدِي به شَدَّ النهارِ كأنَّما خُضِبَ اللَّبانُ ورأسُه بالعِظْلِمِ[(٤)]».

---

(١) ينظر: العذب النمير ٢/ ٥٠٩، وينظر للزيادة: أضواء البيان ٢/ ٣٢٩، وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٢٤٨.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١١٣، وينظر للزيادة – أيضاً -: جامع البيان للطبري ٩/ ٦٦٣.

(٣) هو عنترة بن شداد العبسي، من الشعراء الجاهليين، ومن أصحاب المعلقات السبع. ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥٢، والشعر والشعراء (ص١٦٣).

(٤) وفي رواية: عهدي به مَدَّ النهار. أي: طوله. والعظلم: نبت يختضب به. والعهد: =

فمن خلال ما تقدم يتبين أن معنى الأشد بلوغ القوة والاستواء، وحالة اشتداد القوى العقلية والجسدية، وهو جمع لم يسمع له بمفرد. وقيل مفرده شِدَّة بكسر الشين، وليس الأشد اسماً لعدد من سنيّ العمر، وإنما سنو العمر مظنَّة للأشد».

قال الشنقيطي (ت: ١٣٩٣ هـ) – كما تقدم – هذه أقوال العلماء فيه، والمعنى صائر إلى شيء واحد.

وبعد النظر في أقوال أهل اللغة في معنى الأشد، نذكر أقوال المفسرين في المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ الآية [سورة الأحقاف: ١٥]، جاء في التفسير[١] أن الأشد ثلاث وثلاثون سنة.

وقيل: الأشد ثماني عشرة سنة.

وقيل: الأشد بلوغ الحلم.

وقال بعضهم[٢]: وفي الأشد تسعة أقاويل:

= اللقاء. واللبان: الصدر. ينظر: شرح المعلقات السبع للزوزني (ص١٢٧)، وشرح المعلقات السبع، لأحمد الشنقيطي (ص١٦٢).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٤٤٢، وينظر للزيادة: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥، والبسيط للواحدي ٢٠/ ١٧٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ١٩٦، ١٩٧.

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٥/ ٢٧٦، ٢٧٧، وزاد المسير لابن الجوزي ٧/ ٣٧٧، ٣٧٨.

أحدها: البلوغ[١].

الثاني: خمس عشرة سنة[٢].

الثالث: ثماني عشرة سنة[٣].

الرابع: عشرون سنة[٤].

الخامس: خمس وعشرون سنة[٥].

السادس: ثلاثون سنة[٦].

السابع: ثلاثة وثلاثون سنة[٧].

الثامن: أربعة وثلاثون سنة[٨].

التاسع: أربعون سنة[٩].

وقال بعض المفسرين[١٠] المراد بالأشد:

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ونسبه لابن مالك، والشعبي، وزيد بن أسلم.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ونسبه لمحمد بن أويس.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ونسبه لابن جبير.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ونسبه لسنان.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ونسبه لعكرمة.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ونسبه للسدي.

(٧) ينظر: المصدر السابق، ونسبه لابن عباس – رضي الله عنهما –.

(٨) ينظر: المصدر السابق، ونسبه لسفيان الثوري.

(٩) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٥/ ٢٧٦، ٢٧٧ ونسبه لعائشة – رضي الله عنها – والحسن.

(١٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ١٩٦، ١٩٧، وينظر للزيادة: المحرر =

الأول: ثماني عشرة سنة[١].

الثاني: الحُلُم[٢].

الثالث: بلوغ الأربعين[٣].

= الوجيز لابن عطية ٥/ ٩٧، ٩٨، وفتح القدير للشوكاني ٥/ ٢٤.

(١) ينظر: المصدر السابق، ونسبه لابن عباس – رضي الله عنهما –.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ونسبه للشعبي، وابن زيد.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ونسبه للحسن.

المبحث الثاني: الترجيح بين أقوال المفسرين

بعد التأمل والنظر في أقوال المفسرين في المراد بالأُشُد – كما تقدم – يظهر جلياً أن الأقوال المروية عن العلماء في الأشد تجتمع في قولين:

الأول: بلوغ الحلم.

الثاني: سنون مختلفة تبدأ من البلوغ حتى الأربعين، اختلفوا في مبلغ حَدّ ذلك من السنين، وإن كان المراد في بعضها أقرب من الآخر.

وعليه – والعلم عند الله – تجتمع أقوال المفسرين في المراد بالأشد على هذين القولين.

فيكون القول في المراد بالأشد إذا قوي وشب وارتجل، وبلغ استحكام قوته وعقله، وأنه تناهي قوته واستوائه.

وبالنسبة للاختلاف في السنين، يقول الطبري (ت: ٣١٠هـ) في تفسيره: «وقد بيَّنا فيما مضى- الأشد جمع شَدَّ، وأنه تناهي قوته واستوائه، وإذا كان ذلك كذلك، كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحُلُم؛ لأن المرء لا يبلغ في حال حلمه كمال قوته ونهاية شدته، فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام، فعطفت ببعض على بعض جعلت كلا الوقتين قريباً أحدهما من صاحبه، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ﴾ [سورة المزمل: ٢٠]، ولا تكاد تقول: أنا أعلم أنك تقوم قريباً من ساعة من الليل وكلَّه. ولا: أخذت قليلاً من مال أو كلّه. ولكن تقول: أخذت عامة مالي أو كلَّه.

فكذلك ذلك في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ [سورة الأحقاف: ١٥]، لا شك أن نسق الأربعين على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه، إذا كان يراد بذلك تقريب أحدهما عن الآخر، من النسق على الخمس عشرة أو الثمان عشرة»[(١)].

والغالب – والعلم عند الله – أنه بعد تناهي العقل وكمال الفهم والحلم أنه لا يتغير عمَّا يكون عليه ابن الأربعين، والعلم عند الله.

(١) ينظر: جامع البيان ٢١/ ١٣٩، ١٤٠، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤٢، والبسيط للواحدي ٢٠/ ١٧٨، ١٧٩، والمحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٩٧، وينظر للزيادة – أيضاً –: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣/ ١٥، ومحاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٢٣٦، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/ ٨٢، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦/ ٣٣.

الفصل الثالث:

اللطائف والهدايات القرآنية في الآية الكريمة،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اللطائف القرآنية في الآية الكريمة.

المبحث الثاني: الهدايات القرآنية في الآية الكريمة.

المبحث الأول: اللطائف القرآنية في الآية الكريمة

اشتملت الآية الكريمة على جملة من اللطائف التفسيرية، والنكات البلاغية، ولعل من أبرزها:

١ – أن المراد بالإنسان في الآية الكريمة: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾: الجنس، أي: وصينا الناس وهو مراد به خصوص الناس الذين جاءتهم الرسل بوصايا الله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وذلك هو المناسب لقوله في آخرها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ الآية.

وكذلك هو فيما ورد من الآيات في هذا الغرض كما في سورة العنكبوت[١]، وفي سورة لقمان[٢] بصيغة واحدة[٣].

٢ – اختلفت القرأة في قراءة قوله: ﴿حُسۡنًا﴾، فقرأته عامة قرأة المدينة والبصرة[٤]﴿حُسۡنًا﴾بضم الحاء، أي: ووصينا ابن آدم بوالديه الحُسْنى في صحبته إياهما أيام حياتهما، والبرّ بهما في حياتهما، وبعد مماتهما.

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة[٥]: (إحساناً) بالألف، بمعنى: ووصيناه

---

(١) المراد قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا﴾ [سورة العنكبوت: ٨].

(٢) المراد قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ [سورة لقمان: ١٤].

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦/ ٢٩.

(٤) وهي قراءة: ابن كثير المكي، ونافع المدني، وأبي عمرو البصري، وابن عامر.

(٥) وهي قراءة: عاصم، وحمزة، والكسائي. ينظر: السبعة لابن مجاهد (ص٥٦٩)، =

بالإحسان إليهما. وبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب؛ لتقارب معنى ذلك، واستفاضة القراءة بكل واحدة منهما في القرأة[١].

٣ – فائدة تخصيص ذكر الأم بعد ذكر الوالدين معاً.

قال الرازي[٢] (٦٠٦هـ) في تفسيره:

دلت الآية الكريمة على أن حق الأم أعظم، لأنه سبحانه وتعالى قال أولاً: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾ فذكرهما معاً، ثم خص الأم بالذكر، فقال: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهًا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهًا﴾ وذلك يدل على أن حقها أعظم، وأن وصول المشاق إليها بسبب الولد أكثر، والأخبار مذكورة في هذا الباب[٣].

ويقول الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) في تفسيره:

«وفي هذه الآية إشارة إلى أن حق الأم آكد من حق الأب؛ لأنها حملته بمشقة، ووضعته بمشقة، وأرضعته هذه المدة بتعب ونصب، ولم يشاركها

= والتيسير للداني (ص١٩٩).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٢١/ ١٣٦، ١٣٧.

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين القرشي الرازي، الفقيه المتكلم، يلقب بفخر الدين، ويعرف – أيضاً – بابن الخطيب، اشتهر بعلم الكلام، من تصانيفه: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، والمحصول، وغيرها، توفي سنة (٦٠٦هـ). ينظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢٤٨، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٢١٥.

(٣) ينظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ٢٨/ ١٥ بتصرف.

الأب في شيء من ذلك»[١].

قلت: وفي الوصف بقوله تعالى: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗا﴾ من بيان الحال ما يكفي ويغني في بيان عظيم حقها، والله المستعان.

قال الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) في تفسيره: «ومعنى حملته كرهاً: أنها في حال حملها به تلاقي مشقة شديدة. ومن المعلوم ما تلاقيه الحامل من المشقة والضعف إذا أثقلت وكبر الجنين في بطنها. ومعنى وضعته كرهاً: أنها في حالة وضع الولد، تلاقي من ألم الطلق وكربه مشقة شديدة، كما هو معلوم. وهذه المشاق العظيمة التي تلاقيها الأم في حمل الولد ووضعه، لا شك أنها يعظم حقها بها، ويتحتم برها والإحسان إليها كما لا يخفى...» [٢].

ويقول البقاعي[٣] (ت: ٨٨٥هـ) في نظم الدرر، عند هذه الآية الكريمة ما نصه:

«ولما كان حق الأب ظاهراً لما له من الكسب والإنفاق والذب والتأديب لم يذكره، وذكر ما للأم لأن أمده يسير، فربما استهين به، فقال مستأنفاً أو معللاً: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ﴾ بثقل الحبل وأمراضه وأوصابه

(١) ينظر: فتح القدير ٥/ ٢٤.

(٢) ينظر: أضواء البيان ٧/ ٤١٠.

(٣) هو أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي الدمشقي، له مصنفات كثيرة منها: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، توفي سنة (٨٨٥هـ). ينظر: الضوء اللامع ١/ ١٠١، وشذرات الذهب ٧/ ٣٣٩، والبدر الطالع ١/ ١٩.

وأعراضه...» [(١)].

٤ – فائدة جمع مدة الحمل إلى الفصال في ثلاثين شهراً.

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) في هذه الآية الكريمة:

«ومن بديع معنى الآية جمع مدة الحمل إلى الفصال في ثلاثين شهراً لتُطابق مختلف مدد الحمل إذ قد يكون الحمل ستة أشهر وسبعة أشهر وثمانية أشهر وتسعة وهو الغالب، قيل: كانوا إذا كان حمل المرأة تسعة أشهر وهو الغالب أرضعتْ المولود أحد وعشرين شهراً،وإذا كان الحمل ثمانية أشهر أرضعت اثنين وعشرين شهراً، وإذا كان الحمل سبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين شهراً، وإذا كان الحمل ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً، وذلك أقصى أمد الإرضاع فعوضوا عن نقص كل شهر من مدة الحمل شهراً زائداً في الإرضاع؛ لأن نقصان مدة الحمل يؤثر في الطفل هزالاً.

ومن بديع هذا الطيّ في الآية أنها صالحة للدلالة على أن مدة الحمل قد تكون دون تسعة أشهر ولولا أنها تكون دون تسعة أشهر لحددته بتسعة أشهر؛ لأن الغرض إظهار حق الأم في البر بما تحملته من مشقة الحمل فإن مشقة مدة الحمل أشدّ من مشقة الإرضاع فلولا قصد الإيماء إلى هذه الدلالة لكان التحديد بتسعة أشهر أجدر بالمقام.

وقد جعل علي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) – رضي الله عنه – هذه الآية مع آية سورة البقرة: ٢٣٣ ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ ﴾ دليلاً على أن

(١) ينظر: نظم الدرر ٧/ ١٢٧، وينظر للزيادة: البحر المحيط لأبي حيان ٨/ ٦٠، ٦١.

الوضع قد يكون لستة أشهر، ونسب مثله إلى ابن عباس (ت: ٦٩هـ) – رضي الله عنهما – ورووا عن معمر بن عبدالله الجهني قال: تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت لتمام ستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فذكر له فبعث إليها عثمان، فلما أتي بها أمر برجمها، فبلغ ذلك علياً فأتاه فقال: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قال: أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾، وقال: ﴿حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ﴾ فلم نجده بقي إلا ستة أشهر. فرجع عثمان إلى ذلك وهو استدلال بُني على اعتبار أن شمول الصور النادرة التي يحتملها لفظ القرآن هو اللائق بكلام علاّم الغيوب الذي أنزله تبياناً لكل شيء من مثل هذا»(١).

٥ – من اللطائف التفسيرية في الآية الكريمة التعبير بـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾، ووقوع ﴿إِذَا﴾ بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ الآية.

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):

«حتى ابتدائية ومعناها معنى فاء التفريع على الكلام المتقدم، وإذا كانت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ لا يفارقها معنى الغاية كانت مؤذنة هنا بأن الإنسان تدرج في أطواره من وقت فصاله إلى أن بلغ أشده، أي: هو موصى بوالديه حسناً في

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٠، ٣١، بتصرف يسير، وينظر للزيادة: البحر الحيط لأبي حيان ٨/ ٦٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣/ ١٤، وقال: «وهو استنباط قوي صحيح ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم». وينظر: أضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٤١١.

الأطوار الموالية لفصاله، أي: يوصيه وليّه في أطوار طفولته ثم عليه مراعاة وصية الله في وقت تكليفه.

ووقوع ﴿إِذَا﴾ بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ليرتب عليها توقيت ما بعد الغاية من الخبر، أي كانت الغاية وقت بلوغه الأشد...» [(١)].

٦ – ومن اللطائف في الآية الكريمة، تخصيص زمان بلوغه الأشد.

وإنما خص زمان بلوغه الأشد؛ لأنه زمن يكثر فيه الكلف بالسعي للرزق إذ يكون له فيه زوجة وأبناء وتكثر تكاليف المرأة فيكون لها فيه زوج وبيت وأبناء فيكونان مظنة أن تشغلها عن تعهد والديها والإحسان إليها فنبها بأن لا يفتُرا عن الإحسان إلى الوالدين[(٢)].

ومن اللطائف القرآنية في الآية الكريمة:

٧ – بيان وجه الدعاء للذرية أثناء الوصية بالوالدين.

وما ذكر من الدعاء لذريته بقوله: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ استطراد في أثناء الوصاية بالدعاء للوالدين بأن لا يغفل الإنسان عن التفكر في مستقبله بأن يصرف عنايته إلى ذريته كما صرفها إلى أبويه ليكون له من إحسان ذريته إليه مثل ما كان منه لأبويه، وإصلاح الذرية يشمل إلهامهم الدعاء إلى الوالد.

وفي إدماج تلقين الدعاء بإصلاح ذريته مع أن سياق الكلام في

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٣١.

(٢) ينظر: المصدر السابق ٢٦/ ٣٢، وينظر للزيادة: التفسير الكبير للرازي ٢٨/ ١٥، ١٦.

الإحسان إلى الوالدين إيماء إلى أن المرء يلقى من إحسان أبنائه إليه مثل ما لقي أبواه من إحسانه إليهما، ولأن دعوة الأب لابنه مرجوة الإجابة، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة في ثبوت ذلك، وتحقق دعوة الوالد لولده – والله المستعان[١].

٨ – ونكتة زيادة اللام في الدعاء في قوله تعالى: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾. يقول ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) في تفسيره:

«واللام في ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي﴾ لام العلة، أي: أصلح في ذريتي لأجلي ومنفعتي، كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [سورة الشرح: ١]، ونكتة زيادة هذا في الدعاء أنه بعد أن أشار إلى نعم الله عليه وعلى والديه تعرض إلى نفحات الله فسأله إصلاح ذريته وعرَّض بأن إصلاحهم لفائدته، وهذا تمهيد لبساط الإجابة كأنه يقول: كما ابتدأتني بنعمتك وابتدأت والدي بنعمتك ومتعتهما بتوفيقي إلى برهما، كمِّل إنعامك بإصلاح ذريتي فإن إصلاحهم لي. وهذه ترقيات بديعة في درجات القرب»[٢].

٩ – اللطيفة التفسيرية في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، دون أن يقول: وأسلمت، كما قال: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾.

وقال سبحانه في الآية الكريمة: ﴿مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، دون أن يقول: وأسلمت، كما قال: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ لما يؤذن به اسم الفاعل من التلبس بمعنى

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٣، بتصرف يسير.
(٢) ينظر: المصدر السابق ٢٦/ ٣٤.

الفعل في الحال وهو التجدد؛ لأن الأعمال متجددة متكررة، وأما الإيمان فإنما يحصل دفعه فيستقر لأنه اعتقاد، وفيه الرعي على الفاصلة.

وهذا من بلاغة القرآن الكريم، وعظيم تراكيبه ونظمه في سوره وآياته، فهو في أعلى درجات البلاغة والفصاحة، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[1].

١٠ – اللطيفة العاشرة أن الآية الكريمة عامة لكل مسلم أهل لوصاية الله تعالى بوالديه، والدعاء لهما، والإحسان إلى نفسه وذريته ومن كان في رعيته.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٤، بتصرف. وينظر للزيادة: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/ ٨٢، وروح المعاني للألوسي ٢٦/ ١٦.

المبحث الثاني: الهدايات القرآنية في الآية الكريمة

في الآية الكريمة إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة ويعزم عليها.

قال الراغب الأصفهاني[١] (ت: ٤٢٥هـ):

«وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٥]، ففيه تنبيه أن الإنسان إذا بلغ هذا القدر يتقوى خلقه الذي هو عليه، فلا يكاد يُزايله بعد ذلك، وما أحسن ما نبَّه له الشاعر[٢] حيث يقول:

إذا المرءُ وافى الأربعين ولم يكن له دون ما يهوى حياء ولا سِتْرُ

فدعه ولا تَنْفَسْ عليه الذي مضى وإن جَرَّ أسباب الحياةِ له العمرُ»[٣]

ويقول ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في تفسيره عند هذه الآية الكريمة:

«وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله – عز

(١) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، الملقب بالراغب، من مؤلفاته: المفردات في ألفاظ القرآن الكريم، ومحاضرات الأدباء، اختلف في سنة وفاته فقيل: المتوفى في حدود سنة (٤٢٥هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢٠، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٢٩.

(٢) البيتان اختلف على قائلهما، فقيل: لمالك بن أسماء، وقيل: للأقيشر، وقيل غير ذلك. ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي ٦/ ٤٦٢، والمفردات للراغب الأصبهاني (ص٤٤٧). يقال: نفِستُ عليه الشيء، أنفَسه نفَاسة: إذا لم تره أهلاً.

(٣) ينظر: المفردات (ص ٤٤٧).

وجل – ويعزم عليها»[١].

ويقول الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) في تفسيره:

«وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي لمن بلغ أربعين سنة أن يستكثر من هذه الدعوات...» [٢].

- ومن فوائد الآية الكريمة، ما جاء في أغراض هذه السورة الكريمة سورة الأحقاف من بيان معاملة الوالدين والذرية مما هو من خلق المؤمنين وذلك بالإحسان والدعاء وحسن الرعاية، بخلاف أهل الكفر والضلالة في معاملة الوالدين والذرية بالعقوق، وسوء الخلق، وتضييع حقوق الذرية والأهل والعياذ بالله.
- ومن فوائد الآية الكريمة، تكرار الوصية ببر الوالدين في القرآن الكريم، وقد حرض عليها النبي ﷺ في مواطن عديدة فكان البر بالوالدين أجلى مظهراً في هذه الأمة منه في غيرها، وكان من بركات أهلها بحيث لم يبلغ بر الوالدين مبلغاً في أمة مبلغه في المسلمين، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية في هذا الشأن كثيرة ومعلومة[٣].
- ومن فوائد وهدايات الآية الكريمة: بيان حال الأم عند الحمل والوضع في قوله تعالى: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗا﴾ [سورة الأحقاف: ١٥]،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١٣/ ١٦.
(٢) ينظر: فتح القدير ٥/ ٢٤.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦/ ٦، ٢٩.

والمعنى: أنها حملته في بطنها متعبة من حملة تعباً يجعلها كارهة لأحوال ذلك الحمل. ووضعته بأوجاع وآلام جعلتها كارهة لوضعه، فيعظم بذلك حق الأم في البر والإحسان، والله المستعان[١].

- ومن الفوائد والهدايات – أيضاً – الإشارة إلى ما بعد الحمل من الإرضاع وذلك يستدعي صبر الأم.

قال في التحرير والتنوير: «وأشير إلى ما بعد الحمل من إرضاعه الذي به علاج حياته، ودفع ألم الجوع عنه وهو عمل شاق لأمه فذكرت مدة الحمل والإرضاع لأنها لطوله تستدعي صبر الأم على تحمل كلفة الجنين والرضيع»[٢].

- ومن الفوائد القرآنية في الآية الكريمة: جمع مدة الحمل إلى الفصال في ثلاثين شهراً لتطابق مختلف مدد الحمل، وقد تقدم بيان ذلك مفصلاً في اللطائف القرآنية في المبحث السابق – بما يغني عن إعادته هنا – خشية التطويل والتكرار.

- ومن الفوائد والهدايات في الآية الكريمة: أن من جملة النعم على الإنسان في الآية الكريمة أن الله – عز وجل – ألهمه الإحسان إلى

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣/ ١٦، ١٧، التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦/ ٢٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٩، ٣٠، وينظر للزيادة: التفسير الكبير للرازي ٢٨/ ١٦.

والديه فهو يطلب من ربه سبحانه وتعالى العون على زيادة الإحسان إليهما بأن يلهمه الشكر على نعمه عليه وعلى والديه، وأن يوفقه إلى العمل الصالح الذي يرضي ربه – جل وعلا – في والديه وذريته.

- ومن فوائد الآية الكريمة: عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أن الإنسان يحسن إلى والديه في وقت بلوغ الأشد، ولا يفتر عن الإحسان إليهما بكل وجه حتى بالدعاء لهما، فلا يفتر عن ذلك الإحسان مع انشغاله بالسعي للرزق عموماً، أو مع الولد والذرية.
- ومن الفوائد – أيضاً – في الآية الكريمة، عند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾، ومعناها: أنه مأمور بالدعاء إليهما بأنه لا يشغله الدعاء لنفسه عن الدعاء لهما، وبأنه يحسن إليهما بظهر الغيب منهما حين مناجاته ربه، فلا جرم أن إحسانه إليهما في المواجهة حاصل بفحوى الخطاب كما في طريقة الفحوى في النهي عن أذاهما بقوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾ [سورة الإسراء: ٢٣].

وحاصل المعنى: أن الله أمر بالإحسان إلى الوالدين في المشاهدة والغيبة وبجميع وسائل الإحسان الذي غايته حصول النفع لهما، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [سورة الإسراء: ٢٤]، وأن الله لما أمر بالدعاء للأبوين وعد بإجابته على لسان رسوله ﷺ لقوله: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد**

صالح يدعو له»[١].

وما شكر الولد ربه على النعمة التي أنعمها الله على والديه إلا من باب نيابته عنهما في هذا الشكر، وهو من جملة العمل الذي يؤديه عن والديه[٢].

- ومن فوائد الآية الكريمة – أيضاً – نعمة الله – عز وجل – على الوالدين أن سخر لهما هذا الولد ليحسن إليهما، وهي أعظم نعمة من عموم هذه النعم عليه وعلى والديه.

وبعد ذكر هذه اللطائف العشر، والهدايات العشر المستنبطة من الآية الكريمة، وهذا لا يعني الحد والحصر، فهي أكثر من ذلك لمن تأمل وتدبَّر، فكلما تدبر الإنسان وتأمَّل يجد من اللطائف والهدايات والفوائد القرآنية ما لا يعد ولا يحصى، والله المستعان.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم، في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث (١٦٣١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٢، بتصرف يسير.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تقضى الحاجات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ففي خاتمة هذا البحث، توصلت إلى عدة نتائج من أهمها:

١ – بيان عظيم حق الوالدين فهو مقرون بتوحيد الله وإخلاص العبادة له في غير ما آية من القرآن الكريم.

٢ – اختلاف المفسرين فيمن نزلت فيه هذه الآية الكريمة على عدة أقوال: فقيل: نزلت في أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –، وقيل: في سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –، وقيل: نزلت على العموم، وهو الظاهر – والعلم عند الله تعالى – ولا مانع من الحمل على العموم كما تقرر في قواعد الترجيح.

٣ – أن اختلاف المفسرين في المراد بالأشد في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [سورة الأحقاف: ١٥]، على عدة أقوال ترتب عليه تعدد الأقوال في تحديد سن بلوغ الأشد على عدة آراء ذكروها في كتب التفسير عند هذه الآية الكريمة.

٤ – أن قول أهل اللغة في الأشد معروف ومذكور في كلام العرب والمعنى صائر إلى شيء واحد وهو بلوغ القوة والاستواء، فيكون القول في المراد بالأشد إذا قوي وشب وارتجل، وبلغ استحكام قوته وعقله، وأنه تناهي قوته واستوائه.

٥ – أن تخصيص زمان بلوغه الأشد فيه إشارة إلى أنه زمن يكثر فيه السعي

للرزق فهو مظنَّة أن يُشغل الولد عن والديه، وتعهدهما بالبر والإحسان فنبه إلى ذلك في الآية الكريمة.

٦ – ظهور بلاغة القرآن الكريم وعظيم بديعه ونظمه في سوره وآياته، فهو كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

٧ – في الآية الكريمة إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة ويعزم عليها، وأن يستكثر من هذه الدعوات المذكورة في الآية الكريمة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١ – **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)** لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

٢ – **أسباب النزول**: لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٣هـ.

٣ – **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٤ – **الأعلام**، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشر، ١٩٩٧م.

٥ – **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٦ – **بحر العلوم**: لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر: بيروت، د.ط، د.ت.

٧ – **البحر المحيط**: لمحمد بن يوسف بن حيّان الأندلسي، تحقيق: عادل عبدالموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٨ – **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٩ – **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تأليف: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.

١٠ – **التفسير البسيط**. لأبي الحسن الواحدي، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١١- **تفسير التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

١٢- **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٣- **التفسير الكبير (تفسير الرازي)** لفخر الدين محمد بن عمر البكري الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.

١٤- **التفسير والمفسرون في العصر الحديث**. لعبدالقادر محمد صالح، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٥- **التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا**. للدكتور: محمد رزق طرهوني، دار ابن الجوزي، ط ١٤٢٦هـ.

١٦- **التفسير ورجاله**. محمد الفاضل بن عاشور، طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١٧- **التيسير في القراءات السبع**: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٨- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٩- **الجامع المختصر من السنن، (جامع الترمذي)** للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٠- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي، عناية: هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٢١- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**. للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور:

أحمد الخراط، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٢- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٣- **الدرر الكامنة في أعيان المئة** الثامنة، تأليف الإمام: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: لمحمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، د.ط، د.ت.

٢٥- **زاد المسير في علم التفسير**، لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

٢٦- **السبعة في القراءات**: لأحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٢٧- **سير أعلام النبلاء**، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.

٢٨- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، للإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المشهور (بابن العماد) تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٩- **شرح المعلقات السبع وأخبار شعرائها**. للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

٣٠- **شرح المعلقات السبع**. لأبي عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني، دار الكتب العلمية، ط ١٤١٨هـ.

٣١- **الشعر والشعراء**: لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣٢- **الصحاح في اللغة**: لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد

عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين: بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

٣٣- **الصحيح المسند من أسباب النزول**. مقبل هادي الوادعي، مكتبة صفاء الأثرية، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٤- **صحيح مسلم (المسند الصحيح)**. لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٣٥- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، تأليف: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٦- **طبقات المفسرين**، تصنيف جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٧- **طبقات المفسرين**، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٣٨- **طبقات فحول الشعراء**: لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني: جدة، د.ط، د.ت.

٣٩- **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**. لمحمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.

٤٠- **فتح القدير**، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق وتخريج الدكتور: عبدالرحمن عميرة، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٤١- **القاموس المحيط، للفيروزآبادي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ.

٤٢- **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل**، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.

٤٣- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لمحمود بن عمر الزمخشري، ترتيب: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٤- **الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)** لأبي إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي، دراسة وتحقيق: محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٥- **لسان العرب**، لأبي الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٤٦- **محاسن التأويل (تفسير القاسمي)** لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، توزيع مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٤٧- **المحرر الوجيز**، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٤٨- **معالم التنزيل (تفسير البغوي)** للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٤٩- **معاني القرآن وإعرابه**: لإبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب: بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٠- **معجم المؤلفين**، تأليف: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٥١- **المفردات في غريب القرآن**: لأبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٥٢- **موسوعة الاستيعاب في بيان الأسباب**، لسليم الهلالي، ومحمد موسى آل نصر، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٥٣- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تخريج: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٥٤- **النكت والعيون (تفسير الماوردي)** لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٥٥- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٦- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

فهرس المحتويات

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث.	٥٨٣
الفصل الأول: نظرة عامة بين يدي الآية الكريمة، وفيه ثلاثة مباحث:	٥٨٧
المبحث الأول: مناسبة الآية الكريمة لما قبلها.	٥٨٨
المبحث الثاني: مناسبة الآية الكريمة لما بعدها.	٥٩١
المبحث الثالث: الروايات الواردة في سبب نزول الآية الكريمة.	٥٩٣
الفصل الثاني: أقوال المفسرين في المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾، والترجيح بينها، وفيه مبحثان:	٥٩٩
المبحث الأول: الأقوال الواردة في المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾.	٦٠٠
المبحث الثاني: الترجيح بين أقوال المفسرين.	٦٠٦
الفصل الثالث: اللطائف والهدايات القرآنية في الآية الكريمة، وفيه مبحثان:	٦٠٨
المبحث الأول: اللطائف القرآنية في الآية الكريمة.	٦٠٧
المبحث الثاني: الهدايات القرآنية في الآية الكريمة.	٦١٧
الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث.	٦٢٢
فهرس المصادر والمراجع	٦٢٤
فهرس الموضوعات	٦٣٠